﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ٧٥ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦﴾ [الصافات: 75 - 76]

❁ مُناسَبَةُ الآيتَينِ لِما قبلَهُا:

من دعائمِ المواساةِ ذِكرُ القصصِ المشابهة لأخذ العِبرة

لمّا أعلمَ اللّهُ تعالى نبيَّه ﷺ في الآيات الَّتي مضَتْ بأنَّ أكثرَ الأمم السّابقة ضلّوا عن سواءِ السَّبيل، ولم يستجيبوا لدعوة رُسلِهم عليهم السلام إلى التَّوحيد، وأنَّه تعالى أهلكَ الضّالّين منهم، ونجَّى عباده المخلصين؛ أعقبَ ذَلِكَ بِذِكْرِ قصَّة أوَّلِ نبيٍّ هو نوحٌ عليه السلام، وما عوقِبَتْ بِهِ أمَّته مِن كَرْبِ الغَرَقِ، الَّذي نجّاه اللّه تعالى وأهله المؤمنين منهُ؛ إجابةً لِنِدائِهِ ودعائه ربَّهُ ﷻ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡمُجِيبُونَ﴾: (جوب) أصلٌ واحِدٌ، وهوَ خَرْقُ الشَّيءِ، يُقالُ: جُبْتُ الأرضَ جَوبًا، فأنا جائِبٌ وجَوّابٌ[1]، ومِن أسماءِ اللّهِ تعالى (المُجيبُ)، وهوَ الَّذي يُقابِلُ الدُّعاءَ والسُّؤال بالعَطاءِ والقَبول ﷻ، وهوَ اسمُ فاعِلٍ مِن أجابَ يُجيبُ، والجَوابُ، معروفٌ: ترَديدُ الكَلام، والفِعْلُ: أجابَ يُجيبُ، قالَ اللّهُ تَعالَى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي﴾ [البقرة: 186]، أي: فَلْيُجيبوني[2].

والاستجابةُ قيل: هي الإجابةُ، وحقيقتُها هي التَّحرّي للجواب والتَّهيُّؤ له، لكن عبَّر بِهِ عن الإجابة لقلَّة انفكاكِها منها، قال تعالى: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: 24]،[3] ومعنى قوله تعالى: ﴿فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ﴾، أي: فنعم مَن يقابلون السُّؤال بالقبولِ والعطاء نحنُ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جوب).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (جوب).
(3) الراغب، المفردات: (جوب).

2) ﴿ٱلۡكَرۡبِ﴾: (كرب) أصلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلى شِدَّةٍ وقوَّةٍ، يُقالُ: مَفاصِلُ مُكْرَبَةٌ، أي: شَديدَةٌ قَويَّةٌ، وأصلُهُ الكَرَبُ، وهوَ عَقدٌ غَليظٌ في رِشاءِ الدَّلوِ يُجعَلُ طَرَفُهُ في عَرقوَةِ الدَّلوِ، ثُمَّ يَشُدُّ ثِنايَتُهُ رِباطًا وثيقًا، يُقالُ مِنهُ: أكرَبْتُ الدَّلوَ[1]، والكَرْبُ: الغمُّ الشَّديد، قال تعالى: ﴿فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦﴾ [الأنبياء: 76]، والكُرْبَةُ كالغُمَّة، وأصلُ ذلك مِن: كَرْبِ الأرضِ، وهو قَلْبُها بالحفرِ، فالغمُّ يثير النَّفس إثارة ذلك، وقيل في مَثَلٍ: الكِرابُ على البقر، ويصحُّ أن يكون الكَرْبُ من: كَرَبَتِ الشَّمس؛ إذا دَنَتْ للمغيب[2]، والمقصودُ بالكربِ العظيمِ في الآية الكريمة: الغَرَقُ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مَـن كـانَ الله تعالى رجـاءَهُ؛ أجابَ اللهُ تعالى له دعاءَهُ

شرعَ اللهُ يبيِّن كيف بدأ الضَّلال؛ إذ كان من أوَّل رسولٍ أرسله الله إلى أهل الأرض، وهو نوحٌ ﷺ، فاعتبر أيُّها الرَّسولُ بأنَّ رسولَنا نوحًا ﷺ نادانا، وسألَنا أن نُنَجّيَهُ مِن شرِّ قومِه، ومن الغَرَقِ الَّذي عمَّ الأرضَ، فأغرق الكافرين، فحاقَتْ بسفينته أسبابُ الكرب، فأجبناهُ، وحقَّقْنا له رجاءه، ومن خصائصنا أنَّنا نحن نِعْمَ مَن يُجيب المضطرَّ؛ إذا دعاه، ويكشف عنه سوء ما حاق به، وقد نجَّينا معه أهلَ دينه دينِ التَّوحيد الخالص والملَّة الحنيفيَّة مِن هول ما حلَّ بمناوئيهم، وأنقذناهم من كُربة الغرق الَّذي أهلك الكفّار.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الواو) في قوله: ﴿وَلَقَدۡ﴾:

الأمـمُ الكـافرةُ كلُّها متشابهةٌ

(الواو) في جملة: ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ﴾ عاطفةٌ على جملة: ﴿وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، وما بينهما استطرادٌ يَستقصي الحديث

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كرب).
(2) الراغب، المفردات: (كرب).

عن ﴿أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، فهذهِ الواوُ تعطفُ قصَّةً على قصَّة والمناسبة بينهما جلية، فهذا نوحٌ عليه السلام والمخاطَب محمَّد ﷺ، وهذه قريشٌ الَّتي تُحذَّر من الكفر وأولئك ﴿أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، أي: الكافرين، ﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾ [العنكبوت: 14] دون جدوى.

معنى (اللام) ودلالة (قد) في: ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا﴾:

تحذيرُ المشركين لإنكارهم استجابةَ دعوةِ نوح عليه السلام

(اللام) في قولهِ تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ﴾ "هي الموطِّئة للقسم"[1]، والتقدير: "وتأكيدُ الخبر وتأكيد ما فُرِّع عليه بِلام القَسَم لِتحقيق الأمرين؛ تحذيرًا للمشركين بَعد تنزيلهم منزلةَ مَن يُنكرُ أنَّ نوحًا دعا، فاستُجيبَ له"[2]، وفي ذلك إشعارٌ لهم بخطورةِ ما هم فيه من إنكارِ الحقائق المستقرَّة، والَّتي منها إنكارُ نبوَّةِ الرَّسول محمَّد ﷺ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعلِ الماضي (نادى):

نداءُ الأنبياء عليهم السلام ربَّهم ﷻ في قوّة الدُّعاء

النِّداءُ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ﴾ يتضمَّن معنى (الدُّعاء) بقرينه قوله تعالى: ﴿فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ﴾، ويتضمَّن "سؤالهُ النَّجاة، وطلب النُّصرة"[3]، وكان "دعاؤهُ على قومِهِ عند إياسِهِ مِن إيمانِهم، وإنَّما دعا عليهم بالهلاك بعد طول الاستدعاءِ لأمرين: أحدهما: ليطهِّرَ اللّهُ الأرضَ من العصاة، الثاني: ليكونوا عِبرةً يتَّعظ بها مَن بَعْدهم مِنَ الأمم"[4].

والتَّعبيرُ بالنِّداء ماضيًا يُلمِح إلى طول معاناة نوحٍ عليه السلام، واستنفادِهِ وسائلَهُ في دعوة قومِهِ إلى اللّهِ تعالى دون جدوى، فاستغاث بربِّهِ تعالى أن ينجّيه من شرِّ الكفّار، فاستجابَ اللّهُ تعالى حيث قال: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

(1) الشوكاني، فتح القدير: 4/ 459.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 130.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 108.
(4) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 53.

الغرضُ مِن الإسناد في ﴿نَادَىٰنَا﴾:

كلُّ فِعلٍ يُضاف إلى اللَّه تعالى يُشاركه فيه غيرُهُ يُـزاد فيـه شيء يَكون فاصلًا

في إسنادِ الفعل ﴿نَادَىٰنَا﴾ إلى ضمير العظمةِ مزيدُ تطمينٍ ومواساة للدُّعاة عمومًا، ولرسولِ اللّهِ ﷺ الذي نزلَ عليهِ هذا الوحي خصوصًا؛ إذ العظيمُ ﷻ يُنزل النَّصر العظيم، ويُفيض الخير العميم، فلا كربَ والعظيمُ ﷻ هو الرَّبُّ.

و"كلُّ فِعلٍ يضاف إلى اللّهِ تعالى يُشاركُهُ فيه غيرُهُ، أو يُنسب يُزاد فيه شيء يَكون فاصلًا، وذلك بينه وبين فعلِ غيرِه، نحو ما قال ﷻ في موضع آخر: ﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٤٥﴾ [هود: 45] لأنَّه قادرٌ على وفاء ما وعدَ، وأخبرَ، وإنجاز ذلك لا يعجزُهُ شيءٌ، وغيره من الخلائقِ لَعلَّهم لا يَقدرون على وفاءِ ذلك والقيام بإنجازِ ما وعدوا؛ لذلك كان ما ذكر، واللّه أعلم"[1].

معنى (الفاء) في جملة ﴿فَلَنِعۡمَ﴾:

دعاءُ الصّالحين مظنَّة الاستجابة

(الفاء) في قولهِ تعالى: ﴿فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ﴾ "فصيحةٌ، أي: وتاللّه لقد دعانا نوح حين أيِسَ مِن إيمان قومِهِ، بعد أن دعاهم أحقابًا ودُهورًا، فلم يزدْهم دعاؤُهُ إلّا فرارًا ونفورًا"[2]، وإلى ذلك ففي (الفاء) لَمْحُ التَّعقيبِ، أي: فاستجبْنا له فورًا؛ لأنَّنا نِعْمَ المجيبونَ، وذلك يدلُّ على أنَّه ما دعا على قومِهِ إلّا بعد طولِ معاناة معهم، وتطاوُل دعوتِهِ لهم إلى ألفِ سنةٍ إلّا خمسينَ عامًا، وفي هذا تعريضٌ لقريش بأنَّ النَّبيَّ ﷺ إن دعا على قومِهِ؛ استجاب اللّه تعالى له، ودعاءُ الأنبياء مستجابٌ، ففيه تخويفٌ لكفّار قريش.

و(الفاء) أيضًا "تفريعٌ على ﴿نَادَىٰنَا﴾، أي: نادانا، فأجبناهُ، فحُذِفَ المفرَّعُ؛ لدلالةِ ﴿فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ﴾ عليهِ؛ لتضمُّنه معنى: فأجبناهُ جوابَ مَن يقال فيه: نِعم المجيبُ"[3].

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 8/ 570.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 95.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 130.

معنى (اللام) في قولهِ: ﴿فَلَنِعۡمَ﴾:

معيَّةُ اللهِ تعالى ترعى الدُّعاة المخلصين

(اللام) في قولهِ تعالى: ﴿فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ﴾ توكيديَّةٌ، "موطِّئة للقسم"[1] المحذوف، أي: "أجبناهُ أحسنَ الإجابةِ، فواللهِ لنعمَ المُجيبون نحنُ"[2]، وفي ذلك أيضًا تطمينٌ لكلِّ داعيةٍ بأنَّ معيَّةَ اللهِ تعالى ترعاهُ، وتتداركهُ بخاصَّة إذا استنفذَ أسبابَهُ في الدَّعوة، فتستنفذهُ مِن شرِّ الكفّار وكيدِ المناوئين.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ (نِعم):

إجابةُ اللهِ تعالى أولياءَهُ تكونُ أحسنَ إجابة، وعلى أكملِ ما يرجون

في التَّعبيرِ بفعل المدح (نِعم) في قوله تعالى: ﴿فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ﴾ "يقتضي أنَّ الإجابةَ كانت على أكملِ ما أرادَ نوحٌ عليه السلام"[3]، و"المعنى: إنّا أجبناهُ أحسنَ الإجابةِ، ونصرناهُ على أعدائِهِ، وانتقمنا منهم بأبلغِ ما يكون"[4].

معنى (ال) في ﴿ٱلۡمُجِيبُونَ﴾، ونكتة جمعه:

التَّمدُّح بعموم الإجابة أبلغُ، واللهُ نِعمَ المجيبُ لِمن دعاهُ

(ال) في ﴿ٱلۡمُجِيبُونَ﴾ للاستغراقِ والإحاطة؛ فلا إجابةَ ولا مكافأة في عظمةِ إجابةِ اللهِ تعالى ومكافأتِهِ أولياءَهُ المضطرين، كما قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [النمل: 62].

وإطلاقُ الإجابةِ هنا "يحتمل وجهين: أحدُهما: فلنعمَ المجيبونَ لنوحٍ في دعائِهِ، الثّاني: فلنِعمَ المجيبونَ لِمن دعا؛ لأنَّ التَّمدُّح بعموم الإجابة أبلغُ"[5].

"والجمع في ﴿ٱلۡمُجِيبُونَ﴾ دليلُ العظمةِ والكبرياءِ، والمعنى: إنّا أجبناهُ أحسنَ الإجابة، وأوصلَها إلى مرادِهِ وبغيته مِن نُصرتِهِ على

(1) الشوكاني، فتح القدير: 4/ 459.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 195.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 476.
(4) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 127.
(5) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 53.

أعدائِهِ، والانتقام منهم بأبلغِ ما يكون"[1]، وفي إعادة جمعِهِ بعد سبْقِ ضمير العظمةِ في قولِهِ تعالى: ﴿نَادَىٰنَا﴾ دليلٌ على "تعظيم تلك النِّعمة، لا سيَّما وقد وصف تلك الإجابةَ بأنَّها نعمتِ الإجابةُ"[2].

معنى (الواو) في جملة: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾:

كونُهُ تعالى نِعْمَ المجيبُ يَقتضي كثرةَ الإنعام النّازل على داعيه

(الواو) في جملة: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾ عاطفةٌ؛ إذ عطَفت جملة: (نجينا) على جملة: (استجبنا) المقدَّرة بعد (الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾، فضمَّت مكافأةً أخرى، وضاعفتِ الخيرَ، وأفادتْ تتابُعَ المَدَدِ النّازل عليه من الكريمِ النَّصير ﷺ، و"لمّا بيَّن أنَّه سبحانه نِعْمَ المجيبُ على سبيل الإجمال؛ بيَّن أنَّ الإنعامَ حصلَ في تلك الإجابةِ من وجوهٍ: **الأوَّلُ**: قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾، وهو على القولِ الأوَّل الكربُ الحاصلُ بسبب الخوفِ من الغرق، وعلى الثّاني الكربُ الحاصل مِن أذى قومِهِ، **والثاني**: قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧﴾ [الصافات: 77] يفيد الحصرَ"[3].

دلالةُ التَّعبير بالتَّنجية، وإشارة المُضيِّ فيه:

إيثارُ بعضِ اشتقاقاتِ المفردةِ دونَ بعضٍ براعةٌ تُمثِّل أحدَ مظاهر إعجاز القرآن

في التَّعبيرِ هنا بالتَّنجيةِ في جملة: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾ بما فيها من (شَدَّةٍ) تحكي الشِّدَّة - دون الإنجاء بما فيه من خفَّةٍ ويُسرٍ، تحكي يُسرَه على الله تعالى - ترجمةٌ لِشِدَّة معاناةِ نوحٍ عليه السلام حتى لكأنَّ إنجاءَ اللهِ تعالى إيّاه (تنجيةٌ) دليلًا على استنفاذِهِ عليه السلام كلَّ وسائلِ الدَّعوةِ، واحتماله من قومه كلَّ صنوفِ الإيذاءِ، وهكذا تترجم بعضُ مصادرِ المفردة اللُّغويَّة دون بعضٍ كثيرًا مِنَ المعاني، والبراعة في ذلك مِن مظاهرِ إعجازِ القرآنِ الكريم.

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 48.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 339.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 339.

لطيفةُ الإسنادِ في فعل التَّنجية:

نصرُ الله تعالى عبادَهُ عظيمٌ، وعظمتُهُ مستمدَّةٌ مِن عظمتِهِ ﷻ

كما عبَّر النَّظمُ الكريم في مفعول (نادى) في جملة: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ بضمير العظمةِ، كذلك أسندَ فِعل التَّنجية إلى ضميرِ العظمةِ في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾؛ إشارةً إلى عظمةِ رحمتِهِ تعالى في استنقاذِهِ أولياءَهُ الصّالحين، فيكونُ النَّصر لعباده سبحانه، كما يقول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝١٧٣﴾ [الصافات: 171 - 173].

معنى (الواو) في قولِهِ: ﴿وَأَهْلَهُۥ﴾:

الدُّعاةُ وأهلوهم محلُّ رعايةِ الله تعالى وتنجيته مِنَ الكروب

(الواو) في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَهْلَهُۥ﴾ واوُ العطف، حيث تَجمع (أهلَه) ﷺ معه في تنجيتِهِ اللّه تعالى مِنَ الكربِ العظيم، وذلك يبعثُ الطُّمأنينةَ في قلوب الدُّعاة بأنَّهم وأهليهم محلُّ رعايةِ اللّه ﷻ، وتنجيتِهِ مِن الكروب والهموم والغموم، حتى وإن بدا الأمرُ على غير ذلك.

فائدةُ التَّعبيرِ بالأهل:

المعتبَرُ في الوصف بالأهل أهليَّةُ الدّين، سواءٌ كانوا مِن نسب الدَّم، أم مِن غيرِهِم

التَّعبيرُ بالأهل في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ يتَّسع لأهلِهِ الأقربين مِن ذوي رحمِهِ، ولأهلِهِ الأقربين من ذوي دينِهِ، فكلُّهم أهلُه باعتبار ما، ومعتَبَرُ الأهليَّة بالنِّسبة للأنبياءِ والدُّعاة مِن بعدِهِم أهليَّة الدّين لا النَّسَب؛ فهذا ابنُ نوحٍ ليس مِن أهلِهِ بنصِّ القرآنِ الكريم: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: 46].

ومِن لطائفِ ذِكرِ (أهله) هنا الإشارةُ إلى "قلَّة مَن آمنَ بهِ مِن غيرِهم"[1]، وفي ذكرِ الأهلِ هنا أيضًا تطمينُ رسولِ اللّهِ ﷺ بأنَّ تنجيةَ اللّه تعالى وحفظَهُ وكرمه سيكون له ولأهل دينِهِ وأهل نَسَبِهِ المؤمنين، وهي سُنَّةُ اللّه تعالى في أوليائِهِ، ولن تَجِدَ لسنَّةِ اللّه تبديلًا.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 130.

دلالةُ تنجيتِهِ وأهلِهِ على إهلاك قومِهِ:

لم تصرِّح الآياتُ بإهلاك قوم نوح ﷺ، وإنَّما فُهِم استلزامًا بمفهوم المخالفة من خلال التَّصريح بتنجيتِهِ ﷺ وأهله استجابة لدعائِهِ، قال ابن عاشور: "وأشعَرَ قوله: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ أنَّ استجابةَ دعاءِ نوحٍ كانت بأن أهلَكَ قومه"[1].

ما أهونَ إهلاكَ الكفّار ومَخوَهم! وما أهونَهم هم أنفسهم على الله تعالى!

ولطيفةُ طَيِّ إهلاكِ قومِهِ توفيرُ العنايةِ على تنجيتِهِ وأهله، والإيحاء بهوان المهلَكين على الله تعالى، وكأنَّهم ما كانوا؛ فما أغناهُ ﷻ عن الخلقِ جميعًا.

معنى ﴿مِنَ﴾ في القيد ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ﴾:

﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ تفيدُ المجاوزةَ، وأنَّ تنجيةَ الله تعالى نوحًا ﷺ وأهلَهُ بأن جاوزه الله تعالى تلك المحنةَ وذلك الغمَّ والكروب بلطفِهِ اللَّطيف دون أن يَمسَّه أذًى.

ينجّي الله تعالى أولياءَهُ الصّالحين بِلُطفٍ لطيفٍ دونَ أن يمسَّهم أذًى

معنى (ال) في ﴿ٱلْكَرْبِ﴾، ودلالة التَّعبير به:

(ال) في ﴿ٱلْكَرْبِ﴾ للعهدِ، فهو كَرْبُ غَمْرِ الأرض بالماء وإغراق الكفّار، وإحاطة السَّفينة بأسباب الرُّعب والفزع، وهو الأحقُّ بهذا الوصفِ في هذه الدُّنيا، وتوحي (ال) بأنَّه الكرب البالغ في الكرْبيَّة مبلغًا لا يُتَصوَّر هوْلُه.

تصويرُ الكربِ البالغِ في الكربيَّة مبلغًا لا يُدرَكُ هوْلُهُ

نكتةُ الوصفِ بـ ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾:

في وصفِ ﴿ٱلْكَرْبِ﴾ بـ ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ تقريرٌ لفداحةِ ﴿ٱلْكَرْبِ﴾، وشدَّة هولِهِ، ممّا يعكسُ عظمةَ التَّنجيةِ الَّتي يوليها اللّهُ تعالى الدُّعاة إليه ﷻ، وعلى رأسِهم خاتمُ المرسلين ﷺ وبارك عليهم أجمعين.

ما أعظمَ التَّنجيةَ الَّتي يوليها الله تعالى الدُّعاةَ إلى دينِهِ!

ومفردةُ ﴿ٱلْكَرْبِ﴾ مفردةٌ مستفظعة في حدِّ ذاتها، ومع ذلك

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 131.

وُصِف ﴿ٱلۡكَرۡبِ﴾ بـ ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ دعمًا لمعنى المواساةِ التي يَبُثُّها ربُّنا تعالى نفسَ حبيبِهِ محمَّد ﷺ ونفوسَ الصّابرين مِن الدُّعاة إلى سبيلِهِ القويمِ؛ وذلك لِما في وصفِ ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ من تعظيم خطرِهِ، فهو كربٌ "عظيمٌ في نوعِهِ، وهو كربٌ عظيمٌ على الَّذين وقعوا فيهِ، فإنجاءُ نوحٍ منه هو سلامته مِنَ الوقوع فيه أصلًا؛ لأنَّه هولٌ في المنظر، وخوف في العاقبة"[1].

وصوغُ وصفِ ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ على (فعيل)؛ لبيان أنَّه كربٌ بلغَ مبلغًا مهولًا، لا يكاد يُحتمل، بل لا يكاد يُتصوَّر؛ كنايةً عن عظمة تنجية اللّه تعالى عبده نوحًا وأهله، وعِظم المِنَّة الرَّحمانيَّة على أوليائه الصّالحين وأولاهم بذلك خاتمُ الأنبياءِ والمرسلين ﷺ، جعلنا اللّه تعالى منهم والمؤمنين أجمعين.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإجابة والاستجابة والقَبولِ:

الإجابةُ للدعية، والاستجابةُ طلبُ الإجابة، والقَبولُ للأعمال

القَبولُ يكون للأعمال: قَبِل اللّهُ تعالى عِلْمَهُ، والإجابةُ تكون للأدعية، يُقالُ: أجاب دعاءَهُ، وأجابَ معناه: فَعَلَ الإجابةَ، واستجاب: طلبَ أن يَفعلَ الإجابةَ؛ لأنَّ أصلَ الاستفعال لِطلب الفعل، وصلح استجابَ بمعنى: أجابَ؛ لأنَّ المعنى فيه يؤول إلى شيءٍ واحدٍ؛ وذلك أنَّ استجاب: طَلَبَ الإجابةَ بِقَصدهِ إليها، وأجاب: أوقَعَ الإجابةَ بِفِعلها[2].

الكرب والحزن:

الحزنُ تَكاثُفُ الغَمِّ وغِلَظُه، مأخوذٌ مِنَ الأرضِ الحَزْنِ، وهو الغليظُ الصُّلب، والكَرْب: تكاثفُ الغَمِّ مع ضيق الصَّدرِ؛ ولهذا يقال

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 131.
(2) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص: 419.

لليوم الحارِّ يوم كرْبٍ، أي: كرْبُ مَن فيه، وقد كربَ الرَّجلُ، وهو مكروبٌ، وقد كَرَبَهُ؛ إذا غمَّهُ، وضيَّق صدرَه[1]، والكآبةُ أثَرُ الحُزنِ البادي على الوجه، ومِن ثَمَّ يُقال: عليه كآبةٌ، ولا يقال: علاهُ حزنٌ أو كربٌ؛ لأنَّ الحُزنَ لا يُرى، ولكنَّ دلالتَهُ على الوجْهِ، وتلك الدَّلالات تُسمّى كآبةً[2].

الحُزن تَكاثُف الغَمِّ مطلقًا، والكَرْبُ تكاثُفُهُ مع ضيق الصَّدر، والكآبة أثَرُهما

(1) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص: 185.
(2) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص: 443.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48 : المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-07-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»